الوجودية المعاصرة وأبرز آرائها

(عرض ونقد)

إعداد

علي بن سعيد العبيدي

أستاذ العقيدة المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد

aliabeedi@gmail.com

Contemporary Existentialism and the most prominent views

(View and Criticism)

Preparation

Ali bin Saeed Al-Abeedi
Assistant Professor of Religion, Faculty of Shariah and Fundamentals of Religion at King Khalid University

ملخص البحث

يتكون البحث الماثل من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

في المقدمة أوضح الباحث أهداف البحث وأهميته وخطته.

وفي المبحث الأول تناول الوجودية من حيث النشأة التاريخية والتعريف والترجمة الموجزة لأبرز أعلامها، مبينا أهمية العلم بذلك في تصور المذهب ونقده.

وفي المبحث الثاني عرض الباحث أبرز الآراء الوجودية، مبينا موقف المذهب من الكون والحياة، ومن الشرائع والأخلاق والقيم، مبرزا للأخطاء التي وقع فيها، وكيف أنه لم يقدم لمعتنقيه سوى التعاسة والشقاء، كل ذلك بالمناقشة العلمية الهادئة.

ثم خلص الباحث في النهاية إلى تقرير بطلان هذا المذهب، الذي ألبس معتنقيه ثياب التعاسة والشقاء؛ وقرر أنه مذهب بشري فاشل، لا يصلح لإسعاد الإنسان وقيادة البشرية، وإن الذي يصلح لذلك هو الإسلام فحسب، فهو الدين الوحيد الذي يمكنه رفع الشقاء وتحقيق السعادة للبشرية جمعاء.

proposal summary

This research consists of an introduction, two sections, and a conclusion.

In the introduction researcher explained the research objectives , importance, questions, and plan.
In the first section researcher dealt with the existentialism in terms of historical beginning , definition ,and short translation of its most prominent scientists. Then he showed the importance of knowing that to imagine and criticize the doctrine .
In the second section the researcher highlighted the most prominent existential views, indicating the position of the doctrine from the universe and life, laws , morals and values, highlighting the errors that occurred, and how it does not provide to its adherents but unhappiness and misery. All that by scientific and quiet discussion.
Then the researcher in the end of his research he confirmed the invalidity of this doctrine, which gave its adherents unhappiness and misery; and decided that this doctrine is failing, not fit for the happiness of the humans, but which fit for that is Islam only, it is the only religion that can raise the misery and achieve happiness for all mankind .

المقدمة

حمدا لله، وصلاة وسلاماً على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإن خطر المذاهب والفلسفات المعاصرة يزداد يوما بعد يوم، ولا سيما مع وجود الانفتاح الثقافي الهائل بين الناس في سائر أرجاء المعمورة، وعبر وسائل تقنية معاصرة يصعب السيطرة عليها وحجبها؛ وتكمن الخطورة وتزداد إذا كان المتلقي يجهل حقيقة هذه المذاهب مع جهله بقواعد الدين وأصوله، مما يجعله بيئة خصبة لتلقي الأفكار الوافدة والتفاعل معها، ومن ثم بثها للآخرين على سبيل الدعوة، أو بغية التشويش والتشكيك بما على معتقداتهم.

أهم أهداف البحث:

أولاً: إبراز تهافت المذهب الوجودي المعاصر، وبيان أنه مذهب باطل يعتريه النقص ويتخلله التناقض.

ثانياً: إبراز مصادمة هذا المذهب للعقل والفطرة والوحي في أهم مبادئه التي يدعو إليها؛ لأنه من نتاج العقول البشرية القاصرة، وبالتالي فهو لا يصلح لقيادة البشرية وإسعادها.

ثالثاً: إبراز الوجه المشرق للإسلام في أهم القضايا التي يدين بها الوجودي والتي تشغل باله وتسبب له الحيرة والقلق.

رابعاً: التأكيد على أن الإسلام هو البديل الصحيح لهذا المذهب ولسائر المذاهب الوضعية إذا ما أرادت البشرية العيش بطمأنينة وسعادة في حاضرها ومستقبلها.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية هذا الموضوع والكتابة فيه من حيث إن الوجودية تعد من أبرز المذاهب المعاصرة اليوم، ولكونها متأثرة في بعض مناحيها بالمذاهب المتقدمة عليها من حيث

النظرة المادية للإنسان، ومن حيث تبريرها الوسائل الموصلة إلى الغايات، ولكونها ترى –وهذا من أهمها وأخطرها– أن الإنسان الوجودي الغربي هو المثل الذي يجب أن يُقتدى به، وأن تصبغ به الحياة.

أسئلة البحث:

- هل النزعة إلى الاهتمام بالإنسان ووجوده قديمة أم حديثة؟
- ما الفرق الجوهري بين الوجودية المعاصرة واليقظات الوجوديات السابقة؟
- هل المبادىء الوجودية موافقة للعقل والفطرة والدين أم مصادمة له؟
- هل حلت الوجودية المعاصرة المشاكل البشرية أم زادتها؟
- ما موقف الوجودية من حرية الإنسان؟ وما موقفها من مقاييس الحق والخير؟
- ما نظرة الوجودية للكون والحياة (الوجود)؟ وما أثر هذه النظرة على الإنسان الوجودي؟
- هل نجحت الوجودية في إيجاد توافق بين الإنسان والمجتمع أم لا؟
- هل أكسبت المبادىء الوجودية معتنقيها الطمأنينة والسعادة أم لا؟
- ما هو المنهج البديل والوحيد للوجودية، والذي يمكنه حل مشاكل البشرية وإسعادها؟

هذه أهم الأسئلة التي ستناقش في هذا البحث بالأدلة الموثقة، وبكل إنصاف وشفافية.

هذا،

وقد جعلت بحثي في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة فيها أهم النتائج.

المقدمة، وفيها أهداف البحث، وأهميته، وأسئلته، وخطته.

المبحث الأول: الوجودية من حيث التعريف والنشأة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الوجودية.

المطلب الثاني: النشأة والتاريخ.

المطلب الثالث: أبرز أعلام الوجودية.

المبحث الثاني: أبرز الآراء الوجودية، ونقدها، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الكفر بالخالق وإنكار الغيب.

المطلب الثاني: اعتقاد قدم العالم وقدم الإنسان.

المطلب الثالث: أسبقية الوجود على الماهية.

المطلب الرابع: عجز الأديان والفلسفات عن حل مشاكل الإنسان.

المطلب الخامس: الإنسان حر في إثبات وجوده.

المطلب السادس: الإنسان هو من يضع مقياس الخير والحق.

المطلب السابع: نفي الحكمة من إيجاد المخلوقات.

المطلب الثامن: حب الآخر سلب لعالم المحبوب.

الخاتمة وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول

الوجودية من حيث التعريف والنشأة

المطلب الأول

تعريف الوجودية

أصل اللفظ في اللغات الأوروبية:

اللفظ في اللغة الأوروبية مشتق من اللغة اللاتينية، ويفيد لفظ «الوجود» معنى الخروج من الشيء؛ لأن تلك هي دلالته في هذه اللغة، فأصل اللفظ في اللغة اللاتينية مكون من مقطعين هما: ex, ster، والمقطع الأول ex يعني الخروج، والثاني ster البقاء في العالم.

وهكذا انتقل اللفظ إلى اللغات الأوروبية بما يحتويه من شحنة تعبيرية، وما يرمز إليه من فكر.

فهو في الإنجليزية : existence

وفي الفرنسية: existence

وفي الألمانية : existenz

فهي تعني الوجود الذي أصبح موضوع الفلسفات الوجودية الحديثة(١).

وتعرف الوجودية: بأنها اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان، ويبالغ في التأكيد على تفرده، وأنه صاحب تفكير، وحرية، وإرادة، واختيار، ولا يحتاج إلى موجه.

وهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع، وتعتبر جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالحياة، والموت، والمعاناة، والألم.

والوجودية ليست نظرية واضحة المعالم، ولهذا لم تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار(٢).

---

(١) تاريخ الوجودية في الفكر البشري (ص ٢٠).

(٢) انظر: موسوعة الأديان والمذاهب (٨٢٨/٢)، وانظر: مدخل إلى مفهوم الأدب الجماهيري (ص٧٧).

شعب الوجودية المعاصرة والجامع بينها:

الوجودية المعاصرة مدرسة في الفلسفة ذات ثلاث شعب:

الشعبة الأولى: الوجودية التي قال بها المسيحي «كير كجارد» ومؤداها أن قلق الإنسان يزول بالإيمان بالله تعالى.

الشعبة الثانية: الوجودية التي عبر عنها المسيحي «جاك ماريتان» وأقامها على فلسفة «توما الأكويني»، وبناء عليها يقول: إن الإيمان بالله يحد من الرغبة في الوجود، ويحد من الخوف من العدم.

الشعبة الثالثة: الوجودية الإلحادية(٣).

والذي يهمنا منها في هذا البحث الوجودية المعاصرة(٤)، فهي التي سنتناولها بالحديث، مع التنبيه إلى أن تلكم الشعب يجمع بينها ثلاثة أشياء، تعتبر الأساس المشترك بينها، وهي:

١- أن الوجود الإنساني هو المشكلة الكبرى، فالعقل وحده عاجز عن تفسير الكون ومشكلاته.

٢- أن الإنسان يستبد به القلق عند مواجهة مشكلات الحياة.

٣- أن أساس الأخلاق قيام الإنسان بفعل إيجابي، وبأفعاله تتحدد ماهيته، وإذا فوجوده الفعلي يسبق ماهيته(٥).

المطلب الثاني

الوجودية من حيث النشأة والتاريخ

تحت هذا العنوان سيكون الحديث عن فلسفة الوجود والوجوديات، من حيث: البدايات الأولى لنشأة الوجودية بصفة عامة، ثم الحديث عن نشأة الوجودية الملحدة بصفة خاصة، والتي نحن بصدد الحديث عنها .

---

(٣) انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة (ص ٣٦١-٣٦٢).

(٤) وتسمى أيضا: الوجودية الحرة، وكذا: الوجودية الكئيبة.

ينظر: الوجودية فلسفة الوهم (ص٥٢)، وكواشف زيوف (ص ٣٦١-٣٦٢).

(٥) كواشف زيوف (ص ٣٦١).

إن النـــزعة إلى الاهتمام بالإنسان ووجوده قديمة جداً، ففي العصور الغـــابرة الممتدة في رحاب الزمن، كانت تظهر في حياة البشر يقظات وجودية، تهتـــف بـــأن الإنسان هو المشكلة الأساسية التي يجب أن يكون لـــه أولويـــة الصـــدارة في الفكـــر الإنساني، ويمكن عرض تلك اليقظات على النحو الآتي:

أولاً: اليقظة الوجودية عند سقراط:

من أولى اليقظات الوجودية ما ينسب إلى سقراط، حيث عارض الفلاســـفة اليونانيين ممن كانوا يواجهون جل اهتمامهم في البحث عن أصل المادة، أو في طبيعـــة الكون، وقعد لهم قاعدة القواعد، عندما قال: اعرف نفسك بنفسك(٦).

لكن لم يكن هذا الرأي ملازماً للإلحاد بالله، ولا قائماً عليه، ولا دعامة مـــن دعاماته، فقد كان مذهباً لفلاسفة يؤمنون بالله(٧).

فمعناه: إن حقيقة الإنسان هي نفسه التي تحوي العقل الذي يطلق عليه سقراط أحياناً اســـم (ظل الله) أي أن الإنسان إذا فحص نفسه اهتدى بها إلى الله، وهي المعرفة الأولى التي يجـــب تحصيلها قبل كل معرفة؛ لأنها هي التي تتيح للإنسان معرفة الفضيلة والســـعادة، والوقـــوف على حقائق الأشياء الأخرى(٨).

ثانياً: اليقظة الوجودية في اليونان وعند الرواقيين:

كان لسقراط أهمية خاصة في تكوين فلسفة الوجـــود في الثقافـــة اليونانيـــة، فتحول الاهتمام من الطبيعة إلى الإنسان نفسه بوصفه محورا للبحث الفلسفي، وأصبح السؤال عن الذات البشرية هو منهج الفلسفة ومعرفة الذات هي غاية الفلسفة(٩).

---

(٦) انظر: المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (ص ٢٢١).

(٧) انظر: كواشف زيوف (٣٦٠).

(٨) انظر: سقراط رائد فلاسفة اليونان (٥٢ – ٥٣)، وقادة الفكر (٥٨ – ٥٩).

(٩) انظر: الوجودية (ص٤٧).

وبمعزل عن الفلسفة ظهر في الثقافة اليونانية عدة بوادر للوجودية، منها "ديانات الأسرار التي تسعى إلى الخلاص، ومنها ألوان الدراما المأسوية العظيمة التي عرضت وكشفت الصدام بين الإنسان ووجود الكون"(١٠).

وكان «الرواقيون» قد فرضوا سيادة النفس، ومواجهة المصير على الإنسان الإغريقي، الذي تجلد لتلاعب السوفسطائيين، ولم يتراجع عن ما وطد نفسه عليه من البحث عن طبيعة النفس، أمام المجادلات العقلية التي لا تكل ولا تمل.

ثم ظهرت دعوات تطالب الإنسان بالانفلات من قيود الدين ومسايرة الهوى تحت مسميات كثيرة(١١).

ثالثاً: الرسالات السماوية:

ثم جاءت الرسالات السماوية التي كرمت الإنسان، ووضعت له منهج حياته، وأوقفته على حقيقة ذاته ووجوده، فانصرفت البشرية إلى شرع الله تهذب به سلوكها، وتنظم به حياتها(١٢).

يقول جون ماكوري: "دعا الأنبياء الناس إلى مواجهة الوجود البشري بما يتسم به من طابع زماني وتاريخي جذري، وإلى الخروج من الرحم اللازماني للفكر الأسطوري.

معنى ذلك أن: الإثم والتحول، والمسؤولية، والبحث عن وجود إنساني بمعنى الكلمة، والاعتراف بحقيقة الزمن والتاريخ كانت كلها موضوعات تحتل مكانا مرموقا في تعاليم الأنبياء، وهي كلها على جانب كبير من الأهمية عند الفلاسفة الوجوديين"(١٣).

ولما جاء الإسلام وجدت الإنسانية في كتابه منهجاً متكاملاً عن النفس البشرية، وطبائعها، وصفاتها، وتحدث عنها بعمق وشمولية لا توجد في كتاب غيره.

---

(١٠) انظر: الوجودية (ص٤٨).

(١١) انظر: المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (ص ٢٢٢).

(١٢)انظر: المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (ص٢٢٢).

(١٣) الوجودية (ص٤٦).

رابعاً: عصر النهضة ويقظات الوجود المعاصرة:

لما كان عصر النهضة تخلص رجال الفكر من سلطان الكنيسة في أوربا، وتحرروا من ربقة الدين.

فجاء ديكارت ليرفع من قيمة العقل، ويقوض من سلطان الكنيسة، ويطالب بتحكيم المنطق، ويرفض زيف المزيفين.

ثم جاء سرن. كيركجور مؤسس فلسفة الوجود، والذي يعتبره رجال الفكر في الغرب الأب الرسمي لمدرسة الوجودية الملحدة، حتى قال جون ماكوري: "ينظر عادة إلى سرن كيركجور(١٨١٣-١٨٥٥) Soreen Kierkegaard على أنه أبو الوجودية الحديثة، وأول فيلسوف أوروبي يحمل لقب المفكر الوجودي"(١٤).

وقد نصب نفسه لمواجهة نظرية المطلق «لهيجل»(١٥) وعارضها بـ«الوجود المطلق»(١٦)، وقد ضل مجهولاً نحو مائة سنة، ثم ترجمت آراءه بعد ذلك(١٧).

وكانت تهدف في بدايتها إلى إنصاف الفرد، وتحريره من سيطرة الآلة منذ عصر النهضة الأوروبية، وإلى تحريره من طغيان الجماعة، وبخاصة المذهب الشيوعي وسيطرته على الفرد(١٨).

ثم تابع كير كجور اليهودي «جان بول سارتر» أكبر مروج للوجودية الإلحادية، حتى صارت الوجودية المعاصرة ملازمة لاسمه(١٩).

---

(١٤) الوجودية (ص٧٠).

(١٥) المطلق عند هيجل: "هو الوجود الواقعي بما فيه من روح لا متناه، أو عقل كلي، أو مبدأ خالق منظم] ا.هـ من كتاب المعجم الفلسفي (ص ٦٤٥).

وكأن هيجل ينظر إلى الوجود كما نظر إليه ابن عربي الصوفي، في أن الوجود كلٌّ واحد لا يتجزأ، وأن روح الله (المطلق عند هيجل) تجري في روح كل كائن في هذا الوجود، وهو ما يسمى بوحدة وجود روحية، والله أعلم.

(١٦) الوجود المشترك بين الموجودات، وهذا إنما يكون مطلقاً في الأذهان لا في الأعيان.

ينظر: الرد على المنطقيين (ص٣٠٩).

(١٧) انظر: نصوص مختارة من التراث الوجودي (ص٥ فما بعد)، ومذاهب فكرية معاصرة (٢٢١-٢٣٢).

(١٨) انظر: الغزو الفكري في المناهج الدراسية (ص ٨٠).

وحتى أن عدداً كبيرا من تلاميذه ينعتونه بأنه مؤسس هذه الوجودية، وذلك جلي البطلان، فإنه لم يكن سوى عالة على مؤسسيها الحقيقيين، أو محاكياً لهم، إن لم يكن متلصصاً على إنتاجهم(٢٠).

أما السبب الرئيس في ظهور الوجودية الملحدة وانتشارها، فيرجع إلى:

١- الضغط الرهيب الذي كان يعيشه الناس، وبخاصة أهل الفكر من تسلط الكنيسة، فكان هذا الاتجاه "كرد فعل على تسلط الكنسية، وتحكمها في الإنسان بشكل متعسف باسم الدين"(٢١).

٢- الحرب العالمية الثانية وويلاتها الجسام، التي أصابت القيم المعنوية لكثير من الناس، وكان لا بد لهم من منهج حياة يستطيب معه احتمال آلامها، فبرزت الوجودية الملحدة لتنشر أفكارها بغية استقطابهم، وقد نجحت في جذبهم(٢٢).

المطلب الثالث

أهم أعلام الوجودية المعاصرة

إن معرفة الأعلام من أهم ما ينبغي أن يعتني به الباحثون في دراستهم للمذاهب؛ لسببين:

١- أن نشأة العَلَم، وبيئته، وحياته العلمية، والظروف التي عاش فيها تتدخل بشكل أو بآخر في صنع أفكاره ومعتقداته.

---

(١٩) انظر: كواشف زيوف (ص ٣٦٢).

(٢٠) انظر: مذاهب فكرية معاصرة (ص ٢٣٤).

(٢١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/٨٣٠).

(٢٢) انظر: المذاهب المعاصرة (ص ٢٢٤)، وسرن كير كجور، رائد الوجودية، حياته، وأعماله (ص٩).

٢- أن نقد المذهب أو الفكر قد يكون من خلال مسلك العلم الشخصي أو مسلكه النوعي.

ومن أبرز الأعلام الذين كان لهم الأثر في ترسيخ الفكر الوجودي وانتشاره شخصيتان:

الأول: سير كير كجورد (١٨٥٥م)[٢٣]:

يعتبر أول الفلاسفة وأقدمهم، وهو الذي وضع حجر الزاوية للتيار الوجودي المعاصر[٢٤]، "والوجودية بشكل عام على اختلاف ممثليها من هـايغر إلى أبنيـانو إلى سارتر أو كارل ياسبيرز وجبريال مرسال، تعتبر كير كغارد الأب الروحي لها"[٢٥].

ويمكن تلخيص أهم ما يتعلق بهذه الشخصية في النقاط الآتية:

١- ولد كجرد سنة ١٨١٣م، وتوفي سنة ١٨٥٥م.

٢- يعتبره رجال الفكر في الغرب الأب الرسمي لمدرسة الوجودية، حيث نصب نفسه لمهاجمة نظرية المطلق لـ «هيجل»، وعارضها بالوجود المطلق.

٣- تأثر بالمسيحية، وبخاصة المذهب البروتستانتي.

٤- ظل مجهولاً نحو مائة عام، ولم يعرف في فرنسـا إلا بـين الحـربين العالميتين.

٥- من مؤلفاته:

أ - رهبة الموت.

---

(٢٣) انظر: سلسلة أعلام الفكر العالمي/ كير كجرد (ص٥، ١٨٢)، وسورين كير كجار مؤسس الوجودية المسيحية (ص ٣٥-٥٧)، ودراسات في الفلسفة الوجودية (ص٢٠)، سورين كير كجور رائد الوجودية (ص ٢٣٥)، والوجودية (ص ٧٢)، والموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب (٨٢٨/٢)، والمذاهب الفكرية المعاصرة (ص ٢٢٣، ٢٢٦).

(٢٤) انظر: معنى الوجودية (ص١١).

(٢٥) معنى الوجودية (٢٨-٢٩).

ب – نتفة من الحياة.

جـ- مدارج الحياة.

د – في فحص الرعدة.

الثاني: جان بول سارتر (١٩٧٩م)[٢٦]:

أبرز شخصية فرنسية في القرن العشرين[٢٧]، كان له أثر على طلبة العلم حول العالم و لم يقتصر أثره على الفلسفة فحسب؛ بل امتد ليشمل العلوم الإنسانية الأخرى[٢٨].

قالوا عنه: "من الخير أن يعتمد الدارس على ما كتبه سارتر ممثل الوجودية الملحدة، والذي يعتبر في نظر الوجوديين أنفسهم رائدا ومعلما، وقد بحث سارتر فلسفته الوجودية في كتابه الكبير: «الوجود والعدم» ووجهه إلى النخبة من رجال الاختصاص"[٢٩].

ويمكن تلخيص ما يتعلق بهذه الشخصية في النقاط الآتية:

١- سارتر يهودي فرنسي، ولد سنة (١٩٠٥م) بباريس، وتوفي سنة (١٩٧٩م) بباريس أيضاً.

٢- اقترنت باسمه الوجودية المعاصرة، ولذا يسمى بـ «عميد الوجودية الملحدة».

٣- اشتغل بالتدريس، وعين أستاذاً للفلسفة في مدينة «لان» في «ليهافر».

---

(٢٦) انظر: دراسات في الفلسفة الوجودية (ص ٢٦٢) والسارتري (ص ٩٥، ٩٦)، والموسوعة الميسرة للأديان (٨٢٨/٢، ٨٩٨)، والمذاهب الفكرية المعاصرة (ص ٢٢٣، ٢٣٥)، وكواشف زيوف (٣٥٩-٣٧٨) .

(٢٧) ينظر: سارتر (ص٥).

(٢٨) ينظر: سارتر والوجودية (ص٧).

(٢٩) معنى الوجودية (ص٣١).

٤- احتذبته الفلسفة الألمانية، وتأثر أشد التأثر بمذهب «الهوسيرلي»[٣٠].

٥- انخرط في الجيش، وسجنه الألمان عام (١٩٤٠م)، وبعد إطلاقه (١٩٤١م) اشترك في حركة المقامة.

٦- أنشأ سنة (١٩٥٠م) مجلة: «العصور الحديثة»، ضمنها أبحاثه الوجودية في السياسة، والأدب.

٧- أحرزت مؤلفاته نجاحا جعله المثل الأول للوجودية في فرنسا، ومن أبرزها:

أ – الغثيان (يشتمل على الكثير من معالم النظريات الوجودية).

ب – الكينونة والعدم (خاطب فيه المختصين بشؤون الفلسفة).

جـ – مجموعة روايات وقصص أدبية ضمنها آرائه منها:

سبيل الحرية، ومسرحية الفاضلة، مسرحية موتي بلا دفن، ومسرحية الذباب وهي من أشهرها، ومسرحية الأيدي القذرة، الوجودية مذهب إنساني، إلى غير ذلك .

٨- من أقواله ومواقفه:

١- هو القائل: إن الله خرافة ضارة.

٢- وهو القائل: "فلسفتي فلسفة الوجود، ولا أعرف ما هي الوجودية"[٣١].

٣- كان من المؤيدين لقضية تحرير الجزائر، ويبغض الاستعمار والمستعمرين، ولو كانوا من مواطنيه!.

٤- لما جلس معه الأستاذ الدكتور علي عبد المنعم[٣٢] طرح عليه عدة أسئلة، وأحرجه بها، فسأل سارتر: من هذا ؟ فقيل له: عالم أزهري.

---

(٣٠) صاحب المذهب «ادموند هوسرل» (١٨٥٩م – ١٩٣٨م)، فيلسوف ألماني، ومؤسس حركة علم الظواهر، اشتغل بالتدريس في جامعة «هال»، وشغل كرسي الفلسفة بها .

انظر: المذاهب المعاصرة، ص (٢٣٣).

(٣١) السارترية (ص ٥).

(٣٢) عالم أزهري، كان رئيساً لقسم التفسير والحديث بكلية الشريعة بجامعة الكويت.

فقال سارتر لمن عنده: أتجلسونني مع رجل من رجـــال محمـــد ﷺ ؟ فكيف أناقشه؟ وانصرف عن المجلس!.

٥- لما حضره الموت سأله من كان عنده: ترى إلى أين قادك مـــذهبك؟ فأجاب في أسىً عميق ملؤه الندم: إلى هزيمة كاملة!!.

المبحث الثاني

أبرز الآراء الوجودية، ونقدها

للوجودية الملحدة آراء وأفكار كثيرة، تصادم العقل والفطرة، وتخالف الحـــس والواقع، وسأعرض لبعضها مع النقد الموجز، وذلك عبر ثمانية مطالب[٣٣]:

المطلب الأول

الكفر بالخالق وإنكار الغيب

تقوم الوجودية على الإلحاد، وهذا أعظم مبادئها، ويتمثل في إنكار الغيبيـــات جملـــة وتفصيلاً، فهم ينكرون الرب تعالى، والملائكة ، والرسل، والكتب، واليـــوم الآخـــر، والبعث، والروح، وغير ذلك.

وهذا ولا شك من أبرز الأمور التي أصابت الوجوديين بالتعاسة، والشـــقاء، والتشاؤم.

انظر: كواشف زيوف (ص٣٧٨).

(٣٣) انظر عقائدهم وأفكارهم في: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب (٨٢٨/٢ فما بعد)، والمذاهب المعاصرة (٢٣٧ فما بعد، ٢٤٥)، سورين كير كجارد (ص ٣٥-٥٧)، دراسات في الفلسفة الوجودية (ص١٧، ٢٦٢ فما بعد)، والوجودية (٨٤ فما بعد، ٩٤، ٣٨١ فما بعد)، والوجودية فلسفة الوهم الإنساني (ص٣ فما بعد)، والإنسانية والوجودية في الفكر العربي المعاصر (٧٨)، وكواشف زيوف (ص٢٧٢)، والغزو الفكري (ص ٨١، ٨٤).

وسينصب الحديث هنا على قضيتين من القضايا التي أنكروها، لعظم شأنها، وذلك بتقريرها بالأدلة التي تكون محل اتفاق بين المجموعة البشرية في الجملة، بخلاف الأدلة النقلية.

القضية الأولى: إنكار الرب تعالى:

أنكر الوجوديون الرب تعالى، حتى قال عميدهم سارتر: "إن الله خرافة ضارة"(٣٤)، والبحث في هذا الباب عنده قليل جدا؛ لأنه لا يؤمن أصلا بوجود إله خالق مدبر.

وقد اخترت هذه القضية في مقدمة النقد لسببين:

١- السبب الأول: أن الإيمان بوجود خالق لهذا الكون أو إنكاره، يترتب عليه الكثير من قضايا الاعتقاد والسلوك.

٢- السبب الثاني: أن إنكار الخالق لم يصبح ظاهرة وبائية في تجمعات بشرية خطيرة، إلا بعد أن خطط اليهود لنشره بين الناس، وجعله مذهباً، حتى قامت دولة تدين به.

والحق أن الإيمان بوجود خالق لهذا الكون هو السمة الغالبة على أجيال البشرية، وذلك لشدة وضوحه، قال ابن القيم: "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول: كيف يطلب الدليل على ما هو دليل على كل شيء، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء *** إذا احتاج النهار إلى دليل"(٣٥).

وقال رحمه الله: "ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم يرى ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما"(٣٦).

---

(٣٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٨٩٨/٢)، وانظر: الفلسفة المعاصرة في أوربا (ص١٦٥).

(٣٥) مدارج السالكين (٦٠/١).

(٣٦) مدارج السالكين (٦٠/١).

وكان منكري الخالق في الماضي شرذمة قليلة، لا يلتفت إليهم ولا يؤبه لهم كما وصفهم الإمام الغزالي بقوله إنهم:"شرذمة يسيرة من ذوي العقول المنكوسة، والآراء المعكوسة، الذين لا يؤبه لهم، ولا يعبأ بهم فيما بين النظار"(٣٧).

فلم ينكره إلا طائفة قليلة من الدهرية، يقال لهم المعطلة، فإنهم عطلوا العالم عن الصانع(٣٨)، وهم من الملاحدة، ولا يختلفون عن ملاحدة اليوم وإن اختلفت الأسماء، فإنهم اليوم يسمون:

بـ "رجال الحقيقة ووحدة الوجود، وأحياناً بالشيوعيين، وأخرى بالوجوديين«اللقب الجديد» وآونة بالبهائيين"(٣٩).

وأما الأدلة على وجود الرب تعالى فكثيرة جداً، وقد عبر عن ذلك محمد جمال الدين القاسمي بقوله إنها: "تفوق الحصر والسبر: كما قيل لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق"(٤٠).

وسأعرض في تقرير هذه المسألة إلى دليلين عقليين إضافة إلى دليل الفطرة:

أولاً: دليل الفطرة:

بدأت بهذا الدليل ؛ لأن شعور الإنسان بوجود الخالق سبحانه وتعالى شعور متأصل في نفس كل أحد، وذلك لأنه فطري غريزي، قال ابن تيمية: "الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه"(٤١).

ودليل الفطرة من أهم الأدلة وأقواها عند أهل العلم، ولهذا المعنى أشار القاسمي بقوله: "دليل الفطرة يؤثره كثير على غيره من الأدلة، ويجعله أولها وأولاها .. لأن الشعور بوجود الله تعالى، والإذعان بوجود خالق قادر فوق المادة، محيط من وراء

---

(٣٧) مقدمة تهافت الفلاسفة.

(٣٨) انظر: الداعي إلى الإسلام (١/١١٩).

(٣٩) مذكرة التوحيد (ص ١٧).

(٤٠) دلائل التوحيد (ص ٢٣).

(٤١) مجموع الفتاوى (٢/٦).

الطبيعة، أمر غريزي في الإنسان، مفطور عليه، لا تغيره ريب المرتابين، ولا تزلزله شكوك الشاكين ؛ لأنه عقد في المرء، طبع عليه جنانه، وتأثر به لسانه وبنانه"(٤٢).

ولما كان الإقرار بالخالق فطريا، فإنه لا يحتاج إلى التدليل عليه إلا عند فساد الفطرة وانحرافها عن الأصل الذي كانت عليه، قال ابن تيمية: "إن الإقرار بالخالق وكماله يكون فطرياً ضرورياً في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلى الأدلة كثير من الناس عند تغير الفطرة"(٤٣).

وقال: "والفطرة تعرف هذا أعظم مما تعرف ما يلائمها من الطعام والشراب، لكن قد يحصل للفطرة نوع فساد، فيفسد إدراكها، كما يفسد إدراكها إذا وجدت الحلو مراً"(٤٤).

أي: فتحتاج إلى ما يصححها، ويزيل فسادها، بإقامة البراهين والأدلة التي توقظها، وتعيدها إلى أصلها، فتقر بالخالق دون شك، وهذه صبغة الله في كل مخلوق مدرك، وفطرته التي فطر الناس عليها.

والفساد الذي قد يطرأ على الفطرة سرعان ما يزول عند الأزمات والشدائد، كما قال الله تعالى عن المشركين: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ۖ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (٤٥).

والفطرة التي تقدم الحديث عنها أظهر ما تكون عند من لم تلوث فطرته الشكوك والشبهات، ومما يذكر أن عجوزاً وقفت على موكب ضخم للرازي، وحوله جمع من تلاميذه، فقالت تسأل: من صاحب هذا الموكب ؟ فقيل لها: إنه الإمام الرازي

---

(٤٢) دلائل التوحيد (ص ٢٣).

(٤٣) مجموع الفتاوى (٦/٧٣).

(٤٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٩/٣٧٥) .

(٤٥) سورة يونس، الآية: ٢٢.

الذي يحفظ ألف دليل على وجود الله ووحدانيته، فقالت العجوز بلسان الفطرة: لو لم يكن عنده ألف شك لما احتاج إلى ألف دليل .

ولما نقل كلامها إلى الرازي قال: لقد صدقت، اللهم إني أسألك إيماناً كإيمان العجائز"[٤٦].

فالحمد لله الذي جعل معرفته فطرية، غريزية، ضرورية، بدهية، أولية. وإنما أطلت هنا لأهمية هذا الدليل مع غفلتهم عنه.

ثانيا: دليل العقل:

وأدلته كثيرة، ولعل من أبرزها دليلان:

الأول: دليل الخلق أو الحدوث:

استعمل العلماء هذا الدليل في البرهنة على وجود الله تعالى، وإثبات وحدانيته، وصفات كماله، ونعوت جلاله[٤٧]، ومؤدى هذا الدليل: "إن النظر في العالم وما يحتوي عليه من موجودات متنوعة، ومخلوقات عجيبة، يقود بالضرورة إلى الإيمان بوجود خالق لهذا العالم، وايتحالة أن تكون هذه المخلوقات قد وجدت من تلقاء نفسها .

وهذا ما يقتضيه مبدأ السببية الذي يقرر أن كل موجود لا بد له من موجد، وهي حقيقة لا سبيل إلى إنكارها، أو المكابرة فيها"[٤٨].

وهذا الدليل مبني على مقدمات عقلية، وقد أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٤٩].

---

(٤٦) ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات (ص ٥٠).

(٤٧) ابن قيم الجوزية، سيرته، منهجه، وآرائه في الإلهيات (ص ٥٤).

(٤٨) ابن قيم الجوزية، سيرته، منهجه، وآرائه في الإلهيات (ص ٥٤).

(٤٩) سورة الطور، الآية: ٣٥، ٣٦.

أي: أوجدوا من غير موجد ؟ أم هم أوجدوا أنفسهم، أي: لا هذا ولا هـذا بل الله هو الذي خلقهم، وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً[٥٠].

والحق أن الناظر في هذا الكون المتأمل فيه، يجد في كل شيء شاهداً ودليلاً على الخالق سبحانه فـ "تأمل حال العالم كله علويه وسفليه بجميع أجزائه، تجده شاهداً بإثبات صانعه، وفاطره، ومليكه، فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم وجحده، لا فرق بينهما، بل دلالة الخالق على المخلوق، والفاعل على المفعول، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العلوية، والفطر الصحيحة، أظهر من العكس"[٥١].

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد فيها الكثر من الآيات التي فيها دعوة إلى التأمل والتدبر، والنظر في خلق السموات والأرض، وما حوت من مخلوقات كلها في جملتها وتفصيلها تدل على الواحد الأحد ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٥٢]، ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ ﴾[٥٣].

وقد سئل أعرابي ما الدليل على وجود الرب تعالى ؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعر ليدل على البعير، وإن الأثر ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير [٥٤].

ومن جيد الشعر الموافق لهذا المعنى، قول الشاعر:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

---

(٥٠) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/٢٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/٧٤).
(٥١) مدارج السالكين (١/٥٩).
(٥٢) سورة يونس، الآية: ١٠١.
(٥٣) سورة الواقعة، الآية: ٥٨.
(٥٤) المواقف (١/١٥١).

وقال أبو العتاهية[٥٥]:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكه ... وفي كل تسكينه شاهد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

الثاني: دليل الكمال:

من المتفق عليه أن الإنسان أكمل حادث موجود في الكون، بحسب ما نلاحظ ونشاهد من موجودات .

والإنسان لم يخلق نفسه حتماً، و لم يخلقه أبوه، وأي شيء دونه لا يستطيع أن يخلقه؛ لأنه فاقد لكمالاته، وفاقد الشيء لا يعطيه، إذا فلا بد من موجد هو أكمل من الإنسان، يملك أن يخلق في الإنسان صفة العلم، والإرادة الحرة، وسائر الصفات النفسية، بعد منحه صفة الحياة؛ بل لا بد أن يكون هذا الخالق ذروة في الكمال كله[٥٦].

هذا هو دليل الكمال، وهو محل اتفاق عند جميع الناس: "فجميع أجناس البشر معترفون لله تعالى بهذه العظمة، وإن اختلفت طرائقهم، وتباينت دياناتهم، وتنازعوا في الأصول وفي الفروع، فهذا الأصل لا ينكره منهم منكر، ولا يجحده إلا المعاندون، الذين خرجوا عن الشرع والعقل والفطرة..."[٥٧].

وفي الباب أدلة أخرى من نحو: دليل الإتقان، ودليل العناية، ودليل الإمكان، ودليل العدل، ودليل الروح، ودليل الإلزام، وغيرها .

وقد أعرضت عنها طلباً للاختصار، وفيما تقدم غنية في إبطال ما أنكره الوجوديون من وجود الرب تعالى، ورحم الله من قال:

أدلة في وجود الحق ظاهرة ... أضحت لها شبه الإلحاد منكسرة

الحق يعلو ولا يعلى عليه فمن ... ناواه كانت جنود الله منتصرة

---

(٥٥) زهر الآداب وثمر الألباب(١/٣٠٨).

(٥٦) انظر: كواشف زيوف (ص ٥٥).

(٥٧) الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين (ص ٩٨).

القضية الثانية: إنكار البعث:

فهم يقررون: "إن الحياة محدودة في المكان والزمان، والإنسان جاء إلى هذا العالم بدون إرادته، فكأنه قذف إليه قذفاً.

ولا يشعر الإنسان في هذا العالم أنه عالمه أو بيته، فهو غريب عنه؛ لأنه لا جذور له تشده إلى الأرض، ولكن ليس له عالم أو بيت سوى هذا العالم ... كلنا سنموت، وما سيبقى من أجسادنا بعد الموت حفنة تراب لا تشكل ذاتاً"(٥٨).

ونقول: البعث من القضايا الخطيرة التي عالجها القرآن، وجاء بتقريره بطرق كثيرة، رداً على من أنكره من الملحدين.

وإنكار الوجوديين اليوم مبني على إنكارهم للرب تعالى وللرسالات، وهو إنكار "عن غير علم، وغاية ما عندهم الظن، فما يتكلمون إلا به، ولا يستندون إلا إليه"(٥٩)، والظن لا وزن له في مقياس العلم.

وقد قال الله عن أسلافهم من الدهرية: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(٦٠).

وبما أنهم ينكرون الخالق سبحانه، فإنه لا يجدي معهم الإقناع والنقد بالأدلة الشرعية المثبتة للبعث، ولكن بالأدلة التي تدعو إلى النظر في ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله – على نحو ما تقدم تقريره في دليل الخلق أو الحدوث – فإنهم إذا أعملوا عقولهم وتفكروا في مخلوقات الله، ساقهم ذلك إلى الإيمان بأن لها موجد هو الله تعالى، ثم بعد ذلك يدعون إلى الإيمان بالبعث عن طريق الحجج العقلية التي أوردها القرآن، وهي حجج لا يملك العقل أمامها إلا التسليم، ومن ذلك:

١ – الاستدلال بالبدء على الإعادة:

فإن من قدر على خلق الإنسان ابتداء؛ قادر على إعادته مرة أخرى، وهذه معارضة قوية؛ لأن من قدر على الإنشاء الأول لم يعجزه الإنشاء الثاني، بل إن الإنشاء

---

(٥٨) فتح القدير (٥/٩).

(٥٩) الوجود وفلسفة الماهية (ص٧٥-٧٦).

(٦٠) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

الثاني أهون من الأول في تقدير البشر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٦١]، ولا يفهم من الآية أن النشأة الأولى أصعب على الله تعالى من الثانية، بل الكل عليه هين، فهما "بالنسبة إلى القدرة على السواء"[٦٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦٣]. وقد فسر ابن كثير الآية تفسيراً بليغاً، فقال: "أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي يذكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم، بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً، ثم وجدوا، فصاروا أناساً سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته فإنه سهل عليه، يسير لديه"[٦٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾[٦٥]. فلو تفكر الجاحد في ابتداء خلقه وأنه أصبح شيئاً، بعد أن لم يكن، لاستدل بذلك على الإعادة مرة أخرى.

وقال عز من قائل: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ

---

(٦١) سورة الروم، من الآية: ٢٧.

(٦٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٣٢).

(٦٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٩، ٢٠.

(٦٤) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٠٦).

(٦٥) سورة مريم، الآية: ٦٦، ٦٧.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾[٦٦].

٢- الاستدلال بالأجل الأعظم، على الأيسر الأصغر:

فإن القادر على خلق السموات والأرض قادر على ما دونهما من باب أولى؛ فإن خلقهما أكبر من خلق الناس، كما قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٦٧].

قال ابن كثير: "خلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة، فمن قدر على ذلك، فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأحرى"[٦٨].

ومن الآيات التي يستشهد بها في هذا المقام قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٦٩]، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾[٧٠].

٣- الاستدلال بالأطوار والمراحل التي يمر بها الإنسان:

نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا

---

(٦٦) سورة يس، الآية: ٧٧-٨١.

(٦٧) سورة غافر، الآية ٥٧.

(٦٨) تفسير القرآن العظيم (٤/٨٦).

(٦٩) سورة الأحقاف، الآية: ٣٣.

(٧٠) سورة يس، الآية: ٨١، ٨٢.

أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[٧١]. ونحو قوله عز وجل: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[٧٢].

٤ – الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها:

فإن القادر على ذلك قادر على إعادة الإنسان وإحيائه مرة أخرى، وقد ضرب الله تعالى المثل لذلك، كما في قوله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[٧٣].

ومن شواهد ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٧٤]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[٧٥]، وقوله عز وجل

---

(٧١) سورة الحج، الآية: ٥-٧.

(٧٢) سورة القيامة، الآية: ٣٦-٤٠.

(٧٣) سورة فاطر، الآية: ٩.

(٧٤) سورة فصلت، الآية ٣٩.

(٧٥) سورة الحج، من الآية ٥.

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٧٦).

فهذه الشواهد وغيرها كثير في القرآن تؤكد بالمثال المشاهد والمحسوس قضية البعث، فإن الذي أحيا الأرض بعد موتها، قادر على إحياء الإنسان وإعادته بعد موته.

ومن الأدلة العقلية المشهورة: أن البعث من لوازم العدالة الإلهية، فإن من عدله تعالى وحكمته أن لا يساوى بين المحسنين والمسيئين، ولا بين الظالمين والمظلومين، ولا بين المؤمنين والكافرين.

قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾(٧٧).

والجواب كما ذكر ابن كثير – رحمه الله – "لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع، ويعاقب فيها هذا الفاجر.

وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة، والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلا بد من حكمة الحكيم العليم العادل، الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا.

وإذا لم يقع هذا في هذا الدار، فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة"(٧٨).

---

(٧٦) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٧٧) سورة ص، الآية: ٢٧، ٢٨.

(٧٨) تفسير القرآن العظيم (٣٤/٤).

المطلب الثاني

اعتقاد قدم العالم وقدم الإنسان

من الركائز التي أقام عليها الوجوديون مذهبهم اعتقادهم بقدم العالم، "وأن الإنسان أقدم شيء في الوجود، وما قبله كان عدماً"(٧٩).

ويقال لهم: هذه مجرد دعوى – قديمة، قال بها الفلاسفة قبلهم، وقلدهم الوجوديون- لا رصيد لها في ميزان العقل والعلم؛ بل إن البراهين العقلية والعلمية تنقضها من أساسها، فإن:

١- البرهان العقلي يقرر: "أن ما هو أزلي هو واجب الوجود عقلاً لذاته، وما هو واجب الوجود لذاته لا يمكن أن يكون قابلاً للتغير .. ولما كانت ذات الموجود ملازمة باستمرار لصفاته، فإن الحدوث في الصفات التي هي ملازمة للذات يستلزم حدوث الذات، وهذا مناقض لأصل ادعاء أزلية الكون الذي هو ملازم للتغير بالمشاهدة"(٨٠).

٢- والبرهان العلمي يقرر: "أن الكون صائر إلى العدم، وأن ما هو صائر إلى العدم لا يمكن أن يكون أزلياً . واستدل بعض هؤلاء بالقانون الثاني للديناميكا الحرارية"(٨١).

فتبين بطلان تلك الدعوى، وما بينتها للحقائق والبراهين العقلية، والعلمية؛ بل والشرعية، فإن الإسلام يقرر أن الكون مخلوق، وأن الله خالقه، وأنه آيل إلى العدم، وأدلة ذلك معروفة مشهورة.

---

(٧٩) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب (٨٢٩/٢).

(٨٠) كواشف زيوف (ص ٥٤٣).

(٨١) كواشف زيوف (ص ٥٤٣).

المطلب الثالث

أسبقية الوجود على الماهية

هذا التصور موضع اتفاق عند فلاسفة الوجودية[٨٢]، وهو ما قرره سارتر مخالفا بذلك جميع الفلسفات السابقة، التي تجمع على أن الماهية أسبق من الوجود.

يقول الوجوديون: "إن الإنسان يوجد أولاً، ثم بعد ذلك هو الذي يخلق الشكل الذي يجب أن يكون عليه"[٨٣]، ويقول سارتر موضحاً: "الإنسان يوجد أولاً دون خطة مسبقة، وأعماله الإرادية توجد أولاً دون خطة منه، ثم يصنع فكره ماهية لها يتخيلها من عند نفسه، والعمليات الفكرية ليست وجوداً، وإنما هي بمثابة مشروع وجود"[٨٤].

وهذا التصور يرفضه العقل، ويرفضه الواقع المشاهد، فإننا نشاهد "أن النوع الإنساني يوجد أولاً، وأن وجوده هذا ليس فرضا من فروض التصور في الأذهان؛ بل هو وجود حقيقي وصادق تلمسه حواسنا كما نلمس الوجود البيولوجي من اللحم والدم"[٨٥].

وكل العقلاء يقيسون ظاهرة الإتقان في الكون على ما يعملون بأنفسهم من أمور متقنة، فيثبتون أن المتقنات الراقية لا يمكن أن توجد من قبل نفسها، دون أن تكون مسبوقة بخطة حكيمة، تحدد ماهيتها وصفتها قبل وجودها .

والأمثلة من الواقع المشاهد كثيرة:

فالعمارة الضخمة لا تظهر إلا مسبوقة بخطة مهندس وضع مخططها بفكره، ورسمه على ورقه، ثم نفذه في الواقع العملي على وفق الفكرة السابقة.

والمصنع الذي ينتج نوعاً من المصنوعات، لا يظهر إلا مسبوقاً بخطة مهندس، وضع مخططه بفكره، ورسمه على ورقه، ثم نفذه في الواقع العملي على وفق الفكرة السابقة التي وضعها[٨٦].

---

(٨٢) انظر: قراءة نقدية في وجودية سارتر (ص٥).

(٨٣) الغزو الفكري (ص ٨٠)، وللتوسع طالع: معنى الوجودية (ص٢٩)، والوجودية وفلسفة الوهم (ص٢٥ فما بعد).

(٨٤) كواشف زيوف (ص ٣٤٧).

(٨٥) انظر: كواشف زيوف (ص ٣٧٣، ٣٧٤).

(٨٦) انظر: الغزو الفكري (ص ٨١).

وهكذا يمكن القول في كل ما تقع عليه العين من الموجودات، فكلها مسبوقة بفكرة.

ولو قارنا تلك الفكرة الإلحادية بما جاء في الإسلام لوجدناها تخالفه تماماً، فعندنا أن كل موجود مسبوق بفكرة بخطه بني على أساسها، فجميع الأشياء في الكون بما فيها الإنسان لم توجد من تلقاء ذاتها، بل بناء على خطة مسبقة مقدرة من رب عليم خبير .

وهذه الحقيقة هي ما أراد سارتر تغطيته على مدعويه "حتى لا يتنبه الفكر إلى أن الإتقان في هذا الكون إنما هو أثر لصفات خالق قادر عليم حكيم يتقن ما يخلق، فهو الذي قدر وقضى، وخلق على وفق مقاديره الحكيمة، وهو سبحانه يدبر كل أمر بحكمته العظيمة، وحتى لا يتنبه الفكر إلى أن هذه المتقنات الكونية لا يمكن أن توجد وجوداً تلقائياً من ذاتها، بعد أن كانت في طي العدم، دون سابق خطة حكيمة يقدرها عليم حكيم قادر"(٨٧).

ولو لم يفعل ذلك ويحجب الأبصار عما حولها من روعة الإتقان في هذا الكون لما بقي لنظريته رصيداً في واقع الحياة.

المطلب الرابع

عجز الأديان والفلسفات عن حل مشاكل الإنسان

قرر الوجوديون "أن الأديان، والنظريات الفلسفية التي سادت خلال القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشاكل الناس"(٨٨).

والجواب: هم صادقون من حيث أنهم يتكلمون عن واقعهم، وعن البيئة التي يعيشون فيها، فمن الطبيعي إصدارهم مثل هذه الأحكام.

إضافة إلى أنهم ربما لم يطلعوا بشكل واضح على الإسلام وثقافته العالمية.

---

(٨٧) كواشف زيوف (ص ٣٧٢).

(٨٨) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب (٨٢٩/٢).

وما قرروه قبل قليل فيه حق وباطل.

أما الحق، فإن النظريات الفلسفية التي هي من نتاج عقول بشرية متباينة، فنعم ولن تقدم حلولا مناسبة للإنسان، وإن جاءت بحلول فهي نسبية وغير خالدة.

ومن ذلك الفلسفة الوجودية التي جاءوا بها، هل حلت مشاكل الإنسان ؟ أم أنها زادتها تعقيداً ؟

الواقع يؤكد الثانية، ويؤكد أنها ملئت حياته حيرة، وقلقا، وشقاء، ونكـــدا! وكذا القول عن الأديان المحرفة، وهذا أمر طبيعي ؛ لأن الإنسان تدخل فيها بالزيـــادة، والنقصان، والتحريف، فلا يمكن لأحيه أن يجد فيه الحلول السوية الشاملة.

أما الباطل، فإنهم لما نقدوا الأديان عمموا حيث ينبغي التخصيص، وتعمـــيم الحكم هنا جائر، وفيه إجحاف وظلم ؛ لأن هناك الإسلام، فإن من طبيعته: العالميـــة، وهذه العالمية أكسبته القدرة على حل مشاكل الإنسان في أي زمان ومكان، وهنـــاك من الدلائل على هذه الحقيقة ما يضيق المقام عن ذكره الآن.

المطلب الخامس

الإنسان حر في إثبات وجوده كيف شاء

يقول الوجوديون: أن للإنسان الحرية المطلقة في إثبات وجوده، بأي طريقـــة، ودون أي قيد.

ولذا فهم يستبيحون الإجرام، والشذوذ، والتبذل، والغدر، والخيانـــة، وغـــير ذلك من مساوىء الأخلاق، لعدم إيمانهم بالقيم الثابتة، يذكر سارتر عن نفســـه: "أن سيدة حدثوني عنها مؤخراً كانت كلما أتت بفعل غير لائق تعتذر عن ذلك بقولهـــا: آسفة، أظن أنني أتصرف كالوجوديين"(٨٩).

---

(٨٩) الوجودية فلسفة الوهم الإنساني (ص٨٥)

وعندهم: "أن الإنسان مدعو في كل لحظة إلى تغيير أخلاقه، دون التوقف عند مبادىء ثابتة"(٩٠)، ولذا يقولون: "إن على الإنسان أن يطرح الماضي، وينكر كل القيود، دينية كانت أم اجتماعية، أم فلسفية، أم منطقية"(٩١)، ولذا فالوجودي "لايقبل توجيها يأتي إليه من الخارج"(٩٢).

وتأكيداً لمبدأ الحرية عند الوجوديين، نجد أنهم يقررون:

١- شيوع الفوضى الأخلاقية، والإباحة الجنسية، التي يترتب عليها الكثير من الأضرار الاجتماعية، والصحية، والاقتصادية، بما يفوق الحسبان.

٢- تأكيد المبدأ المكيافيلي، الذي يقول: الغاية تبرر الوسيلة، فما دام الإنسان حرا فليفعل ما شاء.

ونقول لهم: الحرية مطلوبة، لكنها بالمفهوم الوجودي لا تكون حرية، وإنما فوضى، والفوضى يرفضها الحس والعقل.

أما الحس، فإننا نشاهد الكون من حولنا في تناسق عجيب، وحركته وفق نواميس دقيقة جداً، ولو تغير ناموس الحركة عن بعض مفرداته بتقدم أو تأخير لربما تغير نظام الكون أجمع، ولربما تناثر وتمزق.

والعقل يرفض الحرية المطلقة للإنسان؛ لأن معناها الفوضى، معناها اختلال نظام الحياة، معناها الشقاء والتعاسة، وفقدان الأمن والطمأنينة.

إن الحياة لا تستقيم بالفوضى، ألسنا نلاحظ أن تقييد الحرية في بعض شؤون حياتنا مفيد؟

أليست الدول الراقية تضع نظاماً لتسهيل حركة السير ؟

بلى، وبدونه تختل حركة المركوبات باختلاف أنواعها، وأماكن سيرها، وتغير اتجاهاتها.

إن هذا التنظيم تقييد للحرية، لكنه مفيد ونافع للجميع.

---

(٩٠) الغزو الفكري (ص ٨١)، وانظر: الإسلام في مواجهة المذاهب الغربية (٤٧٠-٤٧٧).

(٩١) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب (٨٢٩/٢).

(٩٢) قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي (ص٥٧).

وعلى مثل هذا قس سائر الضوابط التي تقيد حرية الفرد في جميع مجالات الحياة.

ولو كان الوجوديون عقلاء، لأدركوا من خلال الواقع أن ضبط الحرية مطلب إنساني، وحاجة ملحة لحياة راقية مستقرة .

ولو نظرنا إلى الحرية في الإسلام، لوجدنا أنها تمثل قمة الرقي والحضارة التي تطمح إليها البشرية السوية؛ لأنها قامت على توجيه إلهي يتصف بالكمال المطلق، و لم تقم على توجيه بشري يتصف بالنقص.

ولذا فالإنسان في الإسلام له حرية يسعد بها في حياته ويسعد بها من حلوه .

وحريته مقيدة فيما بينه وبين نفسه، وفيما بينه وبين الآخرين، وفيما بينه وبين الكون من حوله، وفيما بينه وبين خالقه، وهي بهذه الصورة المثالية المتزنة تكسبه دوما السعادة والسكينة، لا الشقاء ولا التشاؤم، ولا التعاسة ولا القلق كما هو الحال في الوجودية المعاصرة.

المطلب السادس

الإنسان هو من يضع مقياس الخير والحق

يتصورون أن الإنسان ذاته هو الذي يضع مقاييس الحق، والخير، والجمال(٩٣).

وهذا ليس بصحيح ؛ لأن الناس يتباينون في معرفة هذه الفضائل، كما يتباينون في الصور والأشكال، فما يراه الوجودي حق، لا يراه الماركسي أو البرجماتي كذلك.

ولذا فلا يمكن للإنسان أن يضع مقاييس ثابتة تحقق هذه المطالب، ولا أدل على هذا من الواقع، فإن ما يضعه الإنسان لهذا العام يغيره من العام القادم بزيادة، أو نقص، أو إلغاء، وهكذا.

يقول سارتر في تقريره لهذا المعتقد: "إنك تستطيع أن تفعل ما تريد، وليس ثمة من له الحق في توجيه النصح إليك، وليس في نظرك شر وخير إلا إذا خلقتهما..."(٩٤).

---

(٩٣) انظر: كواشف زيوف (ص ٣٦٥).

هكذا قال، ومعناه إطلاق حرية التصرف دون قيد، ودون الشعور بالذنب أو المسؤولية، والتصرف حسب الرغبة والدوافع الذاتية دون خجل أو وجل، والإنسان بعد ذلك هو من يصنف نوع فعله!!

وفي هذا المعتقد فتح لباب الجريمة والانحطاط الخلقي من أوسع الأبواب.

وإذا كان الحق والخير والجمال هي مطلب كل إنسان، فإن الإسلام وحده هو الذي وضع مقاييسها، ورسم حدودها، على أكمل وجه، وأحسن صورة تضمن الخير والسعادة للإنسان.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[٩٥]، ففيه منهج حياة متكامل لكل ما يطلبه الإنسان.

المطلب السابع
نفي الحكمة من إيجاد المخلوقات

يعتقدون أن العالم وجد لغير داع، ويمضي لغير غاية، والحياة كلها سخف يورث الضجر والقلق.

إن الوجودية الملحدة لا تقتصر على إنكار الإله فحسب؛ بل هي كذلك تنكر أية غاية أو منطق أو معنى للكون بأسره، كما أنها ترى أن الحياة البشرية لا ضرورة لها، فهي بلا غاية، وبلا معنى، وبلا حكم.

والمصادفة هي التي تطبع الحوادث والعوارض، وهي الصفة الأساسية لكل وجود، وإذا كانت الحياة برمتها عرضية فهي إذا لا معقولة، وكلها عبث[٩٦].

---

(٩٤) انظر: كواشف زيوف (ص ٣٦٧).

(٩٥) الإسراء، الآية: ٩.

(٩٦) انظر: الوجود وفلسفة الماهية (ص٧٩).

يقول سارتر: "لا مبرر للوجود، إنه لا علة ولا ضرورة له"، وفي عبارة أخرى يقول: "كل موجود يولد دون مبرر، ويعيش بسبب ضعفه وخوفه، ويموت بفعل المصادفة"(٩٧).

وهذا المعتقد في أصله مبني على تلك الفكرة المجنونة القائلة: إن الله خرافة ضارة -كما تقدم-، وأنه لا بعث، ولا حساب، فكانت النتيجة الطبيعية أن سلبوا السعادة والطمأنينة، وسكينة النفس، وأصبحت حياتهم مسرحاً للضجر والقلق الذي بلغ غايته في هذا العصر، فكان القتل والانتحار نهاية العشرات بل المئات، فعلوه ليتخلصوا من ضيق الحياة وضجرها.

جاء في بعض التقارير التي تعزو الجريمة إلى الفكر الوجودي ما نص: "إن حوادث الانتحار التي وقعت في فرنسا كان دافعها معتقدا وجوديا...وقالوا عن القتل- كان أحد التلاميذ في مدرسة ثانوية قتل أمه، صرح هذا الابن أمام قاضي التحقيق قائلاً: أخذت ميولي عن فلسفة خطرة؛ لأني تمثلتها تمثلا غريبا، والفلسفة الوجودية قد بدت لي أنها الحقيقة الوحيدة.. إنها جنون اليأس..كل ما يسعى الإنسان وراءه ينتهي إلى لا شيء.

وهناك ما فهمته، وهو أن الإنسان يشاهد أنه يحيا .. وهو غريب بالنسبة لكل ما يقع في العالم الخارجي.

وعند ذلك علق الأطباء النفسيون على هذه الحادثة بقولهم: إن الوجودية جو ملائم للأعمال الخطرة"(٩٨).

ومثل ذلك يفعل الإنسان عندما يتنكر لطريق الحق، ويبتعد عن داعي الإيمان، ويركب طريق الغواية والشيطان.

وأما الإسلام فيعتقد أهله أن هذا الكون وجد لداع، وهو يؤدي رسالته التي خلقه الله من أجلها، حيث سخره الله للإنسان، والإنسان فيه يمضي لغاية خلق من

---

(٩٧) معنى الوجودية (ص٤٣).

(٩٨) الوجودية فلسفة الوهم (ص٨٥).

أجلها، وهي العبادة لرب هذا الكون، قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٩٩).

والناس بعد ذلك بين عابد وكافر، وبالتالي كانت السعادة والطمأنينة قرينة الإيمان، والتعاسة والشقاء قرينة الإلحاد.

المطلب الثامن

حب الآخر سلب لعالم المحبوب

يعتقدون أن حب إنسان لآخر، هو سلب لعالم المحبوب، وسلب لذاتيته، وأن العلاقة بين الناس هي التي تخلق الشقاء، وأن الآخرين هم الجحيم.

يقول سارتر: "إننا منذ الآونة التي نشعر فيها بأن إنسانا آخر ينظر إلينا، إنما نشعر أيضا بأن الآخر يسلبنا عالمنا على نحو من الأنحاء، هذا العالم الذي كنا نملكه وحدنا وحتى هذه اللحظة ...إن العلاقة بيننا وبين الآخرين هي التي تخلق شقاءنا...إن الآخرين هم الجحيم"(١٠٠).

وهذا ولا شك فكر معكوس منكوس؛ لأن مثل هذه الفكرة كفيلة بتقطيع الأواصر الإنسانية، وتفكيك الروابط الاجتماعية، وهي دعوة تتضمن الأنانية والفردية، وأن يعيش الإنسان في عالمه هو، وينسى الآخرين. وهي نظرة تشاؤمية، لأن الناس في نظر الوجودي -كما مر- سبب الشقاء، وهم الجحيم الذي يجلب القلق والتعاسة، ولذا على مذهب لتذهب البشرية إلى الجحيم، ولينطلق الوجودي لتحقيق رغباته، وشهواته، دون مراعاة لأدب، أو خلق، أو دين.

أما أهل الإسلام، فهم على الضد من ذلك تماماً، يرحبون بالعلاقة مع الآخرين، ويبادلونهم المحبة والتقدير، ويرون أن هذا مما يجلب السعادة، ويعمر الكون،

---

(٩٩) سورة الذاريات، الآية: ٢٨.

(١٠٠) الفلسفة الوجودية (ص١٧٦) عن ك.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١٠١).

(١٠١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد انتهيت ـــ بعون الله وتوفيقه ـــ من إتمام هذا البحث وإكماله، وفي ختامه أُجمل أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

١- أن الوجودية فكرة ملحدة، أنانية، تشاؤمية، لا أخلاقية، ولا منطقية، تصادم الفطر والعقول السليمة، كما أنها تصادم الوحي -المتمثل في القرآن الكريم وصحيح السنة- وتعارضه في أهم قضاياه العقدية والأخلاقية، وفوق ذلك هي صناعة بشرية، وليس لها من المقومات ما يؤهلها لعمارة الكون وقيادة البشرية وإسعادها؛ بل هي دمار وشقاء.

٢- أن الوجودية تدور في نفس الفلك الذي تدور فيه المذاهب الفكرية المعاصرة ـــ سواء أكانت ميكيافيلية، أو برجماتية، أو عالمية، أو غيرها من المذاهب المعاصرة- من حيث نظرتها للإنسان، وأنه شيء مادي لا غير.

٣- أن الوجودية تسعى لأن يكون الإنسان الوجودي هو النموذج الذي ينبغي أن يحتذى، وأن يصبغ به الوجود.

٤- أن المنهج الوحيد الذي يمكنه انتشال البشرية من معاناتها الطويلة وإسعادها هو الإسلام لا غير، فهو الدين العالمي الخالد، الذي يخاطب العقول، ويلامس الفطر. ويلبي احتياجات الإنسان على تنوعها واختلافها بتوازن تام.

والله أسأل،

أن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله شمعة مضيئة في طريق السالكين إلى الله تعالى والدار الآخرة.

والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وقدوتنا وقرة أعيننا

محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

ثبت المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإبراهيم، موسى: ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، ط (١٤١٣هـ)، دار الثقافة، الدوحة.

٣- ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: دار الرشاد – المغرب.

٤- ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ط٤ (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م) المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة.

٥- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد، ط١ (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٦- ابن سعدي، عبد الرحمن: الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، ط٣ (١٤٠٥هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧- ابن قاسم، عبد الرحمن: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ط (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، دار عالم الكتب، الرياض .

٨- ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ط (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار الفكر، بيروت.

٩- أبو علي، محمد: مدخل إلى مفهوم الأدب الجماهيري، ط١(١٩٨٨م) المركز العالمي للدراسة وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس.

١٠- إمام عبد الفتاح: سرن كير كجور رائد الوجودية، حياته، وأعماله، ط٢ (١٩٨٢م)، دار التنوير، بيروت.

١١- الأنباري، عبد الرحمن الأنباري: الداعي إلى الإسلام، تحقيق سعيد حسن، ط١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت .

١٢- الإيجي، عضد الدين: المواقف، ط١(١٩٩٧م) دار الجيل – بيروت.

١٣- بدوي، عبد الرحمن: الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، ط (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م)، دار القلم، بيروت.

١٤- بدوي، عبد الرحمن: دراسات في الفلسفة الوجودية، ط (١٤٠٠-١٩٨٠م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت .

١٥- عبهاني، هشام: سارتر والوجودية، ط١(١٩٩٩م).

١٦- بوشنسكي، إم: الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة: عزت القرني، ط(١٩٩٢م) عالم المعرفة.

١٧- تود، فليب: سارتر، ترجمة: إمام، عبد الفتاح، ط(٢٠٠٤م) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

١٨- الجهني، مانع: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط٣ (١٤١٨هـ)، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.

١٩- حسين، طه: قادة الفكر، ط (١٣٨٣هـ) دار العلم للملايين، بيروت.

٢٠- حنفي، علي: قراءة نقدية في وجودية سارتر، ط(١٩٩٦) المكتبة القومية الحديثة، طنطا.

٢١- خليل، أحمد خليل: السارترية، ط٢ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، المؤسسة الجامعية، بيروت.

٢٢- السنهوتي، محمد: ابن قيم الجوزية، سيرته، منهجه، وآرائه في الإلهيات، ط (١٤٠٧هـ)، جامعة الإمام.

٢٣- الشوكاني: فتح القدير: ط (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) دار الفكر، بيروت.

٢٤- عبد المعطي، علي: سورين كير كجارد، مؤسس الوجودية المسيحية، ط (١٩٨٥م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٢٥- عبد المعطي، فاروق: سقراط رائد الفلسفة اليونانية، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦- عبد الواحد، محمد عباس: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، ط١ (١٩٩٦م) دار الفكر العربي، مصر.

٢٧- العشماوي، سعيد: تاريخ الوجودية في الفكر البشري، ط٣ (١٩٨م) الوطن العربي، بيروت.

٢٨- عفيفي، عبد الرزاق: مذكرة التوحيد، ط (١٤٠٣هـ) المكتب الإسلامي.

٢٩- عميرة، عبد الرحمن: المذاهب المعاصرة، وموقف الإسلام منها، ط: دار الجيل، بيروت.

٣٠- فال، جان: من تاريخ الوجودية، ضمن كتاب: نصوص مختارة من التراث الوجودي، لفؤاد كامل، ط(١٩٨٧م) الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة.

٣١- فال،جان: الفلسفة الوجودية، ترجمة: شيخ، تيسير، دار بيروت للنشر والتوزيع — بيروت.

٣٢- الفيومي، محمد: الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ط(١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م) الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة.

٣٣- القاسمي، جمال: دلائل التوحيد، تقديم: حجازي، محمد، ط١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، مطبعة المدني، القاهرة.

٣٤- القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٥- القيرواني، إبراهيم بن علي: زهر الآداب وثمر الألباب، ط(١٤١٧/١هـ) دار الكتب العلمية — بيروت.

٣٦- لبن، علي: الغزو الفكري في المناهج الدراسية، ط٢ (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، دار الوفاء، المنصورة.

٣٧- ماكوري، جون: الوجودية، ترجمة: إمام عبد الفتاح، ط (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، مجلة عالم المعرفة، الكويت.

٣٨- الميداني، عبد الرحمن: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ط٢ (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، دار القلم، بيروت.

٣٩- نظمي، محمد عزيز: الإسلام في مواجهة المذاهب الغربية، ط (١٩٩٦م) مؤسسة شباب الجامعة – الاسكندرية.

٤٠- وهبة، مراد: المعجم الفلسفي، ط (١٩٩٨م)، القاهرة.